

## اغتراف من المدائح النبوية

غلام مرتضى آزاد

بمدح المصطفى تحيا القلوب - وتغتفر الخطايا والذنوب .  
أول شعر ، جدير بالذكر ، قيل فى مدح الرسول صلى الله عليه  
وسلم هو شعر الاعشى ، (١) صناجة العرب ومن أكبر شعراء الجاهلية  
حين أنشد .

نبى يرى مالا برون وذكره  
اغار لعمرى فى البلاد وانجدا ----  
له صدقات ماتعب ونائل  
وليس عطاء اليوم مانعه غدا  
اجدك لم تسمح وصاة محمد  
نبى الا له حيث اوصى واشهدا  
اذا أنت لا ترحل بزاد من التقى  
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا  
ندمت على ان لاتكون كمثلہ ۛ

فترصد للموت الذى كان ارصدا (٢) ----  
ولا شك أن موسيقه هذه الايات وتأثيرها فى الاسماع وجزالة  
الفاظها واخذها بالقلوب تفوق كل الايات التى انشدت بعدها فى مدح

الرسول صلى الله عليه وسلم وحول العقائد الاسلامية وتعاليمها . ومن  
العجيب ان الشاعر كاد لسانه ان يؤمن ولكن لم يعط سعادة الاسلام .  
واطيب شعر قيل فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ماغنته  
بنات يثرب لما تلاً ضياء انوار الرسالة فى اجواء المدينة .

طلع البدر علينا      من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا      مادعا لله داع  
ايها المبعوث فينا      جئت بالامر المطاع (٣)

واشتهر حسان بن ثابت الانصارى كشاعر الرسول ومادحه فانشد عدة  
قصائد معروفة لدى أهل العلم مدح فيها الرسول خير الانام وذبح عن  
حمى الاسلام . وعندى اجمل شعر قاله فى مدح الرسول عليه الصلاة  
والسلام هو قوله :

وأحسن منك لم تر قط عيني  
واجمل منك لم تلد النساء  
خلقت مبرأ من كل عيب  
كأنك قد خلقت كما تشاء (٤)

وهكذا اشتهر كعب بن زهير بلاميته المعروفة فى عصر الرسول  
صلى الله عليه وسلم حين يقول :

أنبتت أن رسول الله أو عدنى  
والعفو عند رسول الله مأمول

الى أن قال :

ان الرسول لسيف يستضاء به  
مهند من سيوف الله مسلول (٥)

وان كانت القصيدة فيها السذاجة كل السذاجة ولكنها مملوءة  
بعواطف الحب ، حب الرسول صلى الله عليه وسلم .  
وينقل لنا التاريخ قصائد أبي طالب (٦) ، والعباس عم النبي صلى  
الله عليه وسلم (٧) وعبد الله بن رواحة ، (٨) وكعب بن مالك (٩) والخلفاء  
الاربعة (١٠) وفاطمة الزهراء (١١) رضى الله تعالى عنهم اجمعين .  
وبعد انقضاء عصر الرسول والخلافة الراشدة يتراءى لنا أن الامة  
الاسلامية قد افرقت فى الخوارج والشيعه والمرجئة والمعتزلة والباطنية  
وما الى ذلك ، وقد انقسمت الى المحدثين والفقهاء والمتكلمين  
والعلماء والنحويين والأدباء والكاتبين والشعراء ، فالشعر فى هذا  
العصر ، على العموم ، تارة يتبع آراء الفرقة التى ينتمى اليها الشاعر  
وتارة ينشد القصائد الطويلة الجزيلة فى مدائح اولى الامر ، واحيانا  
يهيم فى فجاج اودية المجون ولجاج آنية المدام الملعون وحسن  
الخدود وجمال القدود كما يقول المتنبي :

ايا خدد الله ورد الخدود

وقد قدود الحسان القدود

فهن اسلن دما مقلتى

وعذ بن قلبى بطول الصدود

فواحسرتاما امر الفراق

واعلق ينرانه بالكبود

الى ان نستمع الى البوصيرى ( اوالا بوصيرى ) (١٢) ثالث ثلاثة :  
(البوصيرى ، والبرعى ، والصرصرى ) الذى يقول عنه احد الناقدين  
معلقا على ديوان حسان بن ثابت : « وفى الحق لم يحسن مدح السيد

الأمين غير الامام البوصيرى فى بردته وهمزته وجاء بعده امير شعراء العصر أحمد شوقى بنهج البردة ، . (١٣)  
 أول ميزة نرى فى همزية البوصيرى انها تبدأ بدون التشبيب كما تبدأ قصائد حسان بن ثابت وكعب بن زهير بالتشبيب والغزل حين يستهل البوصيرى بقوله :

كيف ترقى رقيق الانبياء

ياسماء ما طاولتها سماء

انما مثلوا صفاتك للناس

كما مثل النجوم الماء (١٤)

وثانيا نجد فيها رقة كلام الصوفى ودقة عالم دينى كما يقول :  
 انت مصباح كل فضل فا تصدر الا عن ضوئك الاضواء  
 لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء (١٥)  
 وثالثا قصيدته الهمزية تاريخ منظوم لحياة النبى صلى الله عليه وسلم وبيان موزون لتطور تبليغ كلمة الاسلام فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .

ورابعا نجد فيها صلاة وسلاما على الرسول كما نجد ذلك فى قصيدة ابى حنيفة رضى الله عنه اذ قال :

صلى عليك الله يا علم الهدى

ماحن مشتاق الى مثواك (١٦)

وثانيهم عبدالرحيم البرعى - ولاشك انه شاعر مجيد - نجد فى همزته كلا من محاسن الشعر وجودته وحسن الاسلوب ورقته وسهولة الاداء مع قللة الالفاظ وكثرة المعانى دون الغرابة والمبالغة فاذا نقرأ

شعره من همزيتة خارجها نجدفيه حلاوة الشعر المحض والاسلوب  
الشعري المألوف -

كمايقول :

فما للعاذلين وطول عدلى

جعلت لمن احبهم فداء

أكاتم عنهم العبرات وجدا

وادرع السلولهم رداء (١٧)

وكمايقول :

اذا عهدوا فليس لهم وفاء

وان وعدوا فمو عدهم هباء

وان ارضيتهم غضبوا ملالا

وان احسنت عشرتهم اساءوا

فضول صباية ونحول جسم

لعمرك ما على هذا بقاء

واصبح فى لى شفتيه خمر

كان مزاجها عسل وماء

سقيم اللحظ اورثنى سقاما

وفى شفتيه للسقم الشفاء (١٨)

وفى هذه الاشعار اشارة خفية الى ما ذكره ابو الفرج عبدالرحمن

بن على بن الجوزى فى كتاب الاذكياء ان عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه استعمل رجلا من قريش على عمل فبلغه انه قال :

اسقنى شربة الذعليها واسق بالله مثلها ابن هشام

فاشخصه اليه وذكر انه انما اشخصه من أجل البيت فضم اليه آخر فلما  
 قدم عليه قال ألت القائل :  
 اسقني شربة الذ عليها واسق بالله مثلها ابن هشام  
 قال نعم يا امير المؤمنين .

عسلا بارد ابماء سحاب اننى لا أحب شرب المدام (١٩)  
 فالخمر الذى يجدها البرعى فى شفثيه ليست بالمدمام النجس  
 الممتنع الذى يورث الصداع والسقام ولكن هو الشراب الطهور الحلو  
 البارد الشافى من الاسقام الخلقية والأمراض القلبية كما بين هذا فى  
 همزته الثانية :

اما جبريل روح الله وحيا بمن تحت الكساء ورد الكساء  
 نحن لذكره طربا وشوقا فتحسبنا تساقينا الطلاء  
 وما لى لا احن الى حبيب ثملت براح مدحته انتشاء  
 رسول الله اعلى الناس قدرا واكرمهم وارحبهم فناء (٢٠)  
 وكما يقول :

وخذ من كل من واخاك حذرا فهذا الدهر ليس له اخاء  
 ولا تأنس بعهد من اناس اذا عهدوا فليس لهم وفاء  
 وان عثرت بك الايام فانزل باكرم من تظلمه السماء  
 نبى هاشمى ابطحى شمائله السماحة والوفاء (٢١)

وهناك بون بعيد بين بيان البوصيرى وقعة الاسراء وبيان البرعى  
 فالبوصيرى يقول :

فطوى الارض سائرا والسموات العلافوقها له اسراء  
 فصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء

وترقى به الى قاب قوسى  
رتب تسقط الامانى حسرى  
والبرعى يقول :

كفته كرامة المعراج فضلا  
سرى من مكة بيسراق عز  
مفتحة له الابواب منها  
فسربه الملائكة ابتهاجا  
وكلم ربه من قاب قوس  
فقال الله عزوجل سلنى  
خزائن رحمتى لك فاقض فيها  
بها فى القرب ساد الانبياء  
لاقصى مسجد وعلا السماء  
يجاوزها الى العرش ارتقاء  
وصلى خلفه الرسل اقتداء  
والهم فى تحيته الثناء  
فلمست اشاء الا ان تشاء  
بحكمك لست امنعك العطاء  
(٢٣)

فينظهر لنا ان الاول الحكاية المنظومة والثانى قول شاعر  
ونجد الاستغاثة بجناب حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم فى  
كلتا الهمزيتين .

فالبوصيرى يقول :

فاغثنا يامن هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللأواء  
والجواد الذى به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء  
يارحيمما بالمؤمنين اذا ما  
ياشفيعا فى المذنبين  
اذا اشفق من خوف ذنبه البرءاء  
صاى ولكن تنكرى استحياء  
م له بالذمام منك ذماء  
قدم الصالحون والاغنياء  
جد لعاص وماسوى هو العـ  
وتداركه بالعناية مادا  
اختره الاعمال والمال عما

كل يوم ذنوبه صاعدات  
ويستغيث البرعى بقوله :

شفيع المذنبين اقل عثاري  
دعوتك بعدما عظمت ذنوبي  
ومن لى ان ازورك بعد بعد  
والثم تربة نفحت عبيرا  
وان كنت المصر على المعاصى  
فكن للداء من ذنبى دواء (٢٥)

ولا ينبغي ان يسأل همنا هل تجوز الاستعانة والاستغاثة بغير الله ؟  
لان هذا شعر وللشعر اباحات التى لايجوز ونها فى القول السيد  
. والشاعر يجول فى شتى المجالات والحقول ولا نهتم بقوله ولكن  
نهتم بكيفيته . ولا نعى المقارنة بين البوصيرى والبرعى فالمقصود  
افادة القارى بزيادة الاخبار والاشارة الى ان البرعى شاعر مطبوع .  
ولكن البوصيرى اشتهر بقصيدته المعروفة بالبردة ( أو البروة )  
التي قد تلقيت بالقبول لدى جمهور المسلمين .

هذه القصيدة تبدأ بالتشبيب ولكن ليس فيها تشبيب بالديار القفرة  
والعيون الذرفة الضاربة فى اعشار القلوب المقتلة ونشوان يوم  
الدجنة وهجران الخلان والاعزة ولكن هو تشبيب بالحب كما يقول :  
ايحسب الصب ان الحب منكم ما بين منسجم منه ومضطرم (٢٦)

الحب الذى ليس بالحب النفسانى والتخبط الشيطانى كما يقول  
ايضا :



وخالف النفس والشيطان واعصهما  
وان هما محضاك. النصح فاتهم (٢٧)

ولكن حبه يفوح بحب الرسول عليه الصلاة والسلام . هو  
المسك ماكررته يتضوع حين يقول بعد ذكر الحب ولوازمه :  
محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم  
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم  
(٢٨)

يمكن انه قد اقتبس في هذه الايات من قصيدة زين العابدين  
الذي يقول :

يارحمة للعالمين انت شفيع المذنبين  
اكرم لنا يوم الحزين فضلا وجودا والكرم (٢٩)  
وايضا من قصيدة سعدى مصلح الدين الشيرازى الذى يقول :  
از بهر شفاعت چه اولو العزم چه مرسل  
در حشر زند دست بدامان محمد (٣٠)  
ومهما يكن فانه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأحسن الشعر واطيبه  
فاق النبيين فى خلق وفى خلق  
ولم يدانوه فى علم ولا كرم  
وكلمهم من رسول الله ملتمس  
غرفا من البحر أو رشفا من الديم (٣١)  
ويباهى حسان بن ثابت رضى الله عنه فى الايات التالية :  
هو الذى تم معناه وصورته  
ثم اصطفاه حبيبا بارئى النسم

منزه عن شريك في محاسنه

فجوهر الحسن فيه غير منقسم (٣٢)

ولكل منهما حظ وافر وكلاهما يمدحان الرسول باروع الكلمات  
واخيرا سبق البوصيري في هذه القصيدة الى المعانى لم يسبق اليها  
احد واقتبس منها الشعراء المتأخرون وهو شعره :

فمبلغ العلم فيه انه بشر

وانه خير خلق الله كلهم (٣٣)

فأخذ منه الحافظ الشيرازى وقال :

ياصاحب الجمال وياسيد البشر

من وجهك المنير لقد نور القمر

لايمكن الثناء كما كان حقه

بعد از خدا بزرگ توئى قصه مختصر (٣٤)

ولا شك ان البوصيري تارة يغترف من بحر التصوف وتارة ينحت

من صخر الكلام والتفلسف حين يقول :

تبارك الله ماوحى بمكتسب

ولا نبى على غيب بمتهم

آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم (٣٥)

الى أن قال اجود شعر فى المديح :

فان من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم (٣٦)

يقولون عن شعره فمبلغ العلم فيه انه بشر انه لما وصل الى

المصراع الاول توقف فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قل يا امام

فقال البوصيرى انى لم اوفق للمصراع الثانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم قل يا امام :

وانه خير خلق الله كلهم (٣٧)

وهذه القصيدة كما هو مشهور ومعلوم تقرأ لتفريج الشدايد وتيسير كل أمر عسير . واشترطوا لقرأتها شروطا منها التوضؤ واستقبال القبلة والدقة فى تصحيح الفاظها واعرابها ( يعنى التجويد ) واتخذوا منها تمائم وتعاويد - وقد انتقد ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب على بعض اشعار هذه القصيدة واستخدامها لتفريج الكربات وتيسير امر عسير .

وبعد هذا العصر انقلبت الدنيا على قدميها حين وجدت المسلمين وخاصة العرب متقاعسين سكن نشاطهم وسكت شاعرهم فلانسمع له الا همسا حتى العصر الجديد عصر النهضة الثانية وملتقى بأحمد شوقى امير الشعراء ونستمع الى همزيتة النبوية التى ينهج فيها شوقى نهج البوصيرى كما يقول :

الله يشهدانى لا أعارضة من ذا يعارض صوب العارض العرم  
ولكليهما مزية اذ يقول شوقى :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء (٣٩)

فبراعة الاستهلال تأخذ بالاسماع وتستمر بالسامع والقارى الى آخر القصيدة التى مملوءة بالتشبيهات والاستعارات احسنها واجودها كما يقول :

والوحى يقطر سلسلا من سلسل

واللوح والقلم البديع رواء (٤٠)

ونقارن بين ابيات البوصيرى وشوقى حول سقوط ايوان كسرى

وخمود نيرانها فالبوصيري يقول :

وتوالت بشرى المهواتف قد

ولد المصطفى وحق الهناء

وتداعى ايوان كسرى ولولا

آية منك ماتداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه

كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا

ن لنيرانهم بها اطفاء

مولد كان منه فى طالع الكفر

وبال عليهم ووبساء ( ٤١ )

وشوقى يقول :

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت

وعلت على تيحانهم اصداء

والنار خاوية الجوانب حولهم

خدمت ذوائبها وغاض الماء

والأى تترى والخوارق جمعة

جبريل رواح بها غداء ( ٤٢ )

واخال ان شوقى لا يعتقد بالمعجزات الا الذكر المنزل من الله اذ

يقول :

فلو ان انسانا تخير ملة

ما اختارها لا دينك الفقراء

يايها الامى حسبك رتبة

فى العلم ان رانت بك العلماء

الذكر آية ربك الكبرى التى فيها لباغى المعجزات غناء  
والميزة الكبرى لهذه القصيدة ان نجد فيها حل المشكلات  
الاقتصادية والسياسية فى سيرة الرسول وتعاليمه حين يصرح الشوقى  
بقوله :

ومن العقول جداول وجمامد

ومن النفوس حرائر واماء

داء الجماعة من ارسطا ليس لم

يوصل له حتى اتيت دواء

فرسمت بعدك للعباد حكومة

لاسوقة فيها ولا امراء

الله فوق الخلق فيها وحده

والناس تحت لواءها اكفاء

والدين يسر والخلافة بيعة

والامر شورى والحقوق قضاء

الاشتراكيون انت امامهم

لولا دعاوى القوم والغلواء

انصفت اهل الفقر من اهل الغناء

فالكل فى حق الحياة سواء (٤٤)

## المراجع و الهوامش

- (١) اعشى بكر بن وائل واسمه ميمون بن قيس احد سبعة اصحاب المعلقات ومعلقته ما بكاء الكبير بالا ظلال وسوالى وما ترد سوالى
- (٢) سيرة النبي لابي محمد عبدالملك بن هشام مطبعة حجازى بالقاهرة الجزء الاول ص ٤١٤ - ويرى بعض الناس مستندا الى قول ابن هشام ، ، فلما كان ( الاعشى ) بمكة او قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش ، انه وفد على مكة يسلم فصدده قريش - وارى ان الامر ليس كذلك - الاعشى اراد حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم يشرب كما يقول :-  
الا ايها السائلى اين يمتت فان لها فى اهل يثرب موعدا -  
وانه قد مر بطريق مكة فاصدا المدينة فاعترضه بعض المشركين فصرفوه - وقيل نفرت به راحلته فقتلته -
- (٣) وفاء الوفاء باخبار دارالمصطفى للسهمودى ، الجزء الاول ، ص ٢٦٢ ( الفصل الحادى عشر )
- (٤) انظر ديوان حسان بن ثابت الانصارى مع شرح عبدالرحمن البرقوفى المطبعة الرحمانية بمصر، ص ١٠ -
- (٥) انظر قصيدته فى سيرة النبي لابن هشام الجزء الرابع ، ص ١٥٢ الى ص ١٦٦ -
- (٦) انظر سيرة النبي لابن هشام الجزء الاول ، ص ٢٨٢ قوله :-  
اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها  
وان فخرت يوما فان محمدا هو المصطفى من سرها و كريمها  
وايضا قصيدته على ص ٢٩٠ -
- (٧) انظر اسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن اثير ، ترجمة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم -
- (٨) عبدالله بن رواحه رضى الله عنه حاملا اللواء فى غزوة مودة بعد شهادة جعفر بن ابي طالب ومات فيها شهيدا رضى الله عنه ، وانظر قصائده فى سيرة النبي لابن هشام الجزء الثالث ، ص ٢٢٣ و ص ٤٢٩ .
- (٩) سيرة النبي ابن هشام ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٤٠٣ -
- (١٠) انظر اسد الغابة تراجم الخلفاء الاربعة وسيرة النبي ، ابن هشام ، الجزء الثالث قصائد على ص ٢٤٢ ، ٠١
- (١١) انظر اسد الغابة ، ترجمة فاطمة الزهراء رضى الله عنها -
- (١٢) ديوان المتنبي ، رديف الدال
- (١٣) ديوان حسان بن ثابت الانصارى ، شرح عبدالرحمن البرقوفى ، المطبعة الرحمانية بمصر ، مقدمة و - م -
- (١٤) ديوان البوصيرى بتحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده بمصر ، ص ١
- (١٥) ايضا ص ٢ -
- (١٦) ارمغان نعت ، مركز علوم اسلاميه ٥ - گارڈن كراچى ، ص ٣٥ -

- (١٧) المجموعة النبهانية ، الجزء الاول ، ص ٢١٩ ، ص ١٢٠ -  
 (١٨) ايضاً ص ١٢٣ -  
 (١٩) كتاب الاذكياء لعبد الرحمن بن الجوزى ، ص ٩٨ -  
 (٢٠) المجموعة النبهانية ، الجزء الاول ، ص ١٢١ ، ١٢٢ -  
 (٢١) ايضاً ص ١٢٣ ص ١٢٤ -  
 (٢٢) ديوان البوصيرى ص ٦ -  
 (٢٣) المجموعة النبهانية ، الجزء الاول ، ص ١٢٠ -  
 (٢٤) ديوان البوصيرى ص ٢٥ -  
 (٢٥) المجموعة النبهانية الجزء ١ الاول ، ص ١٢٢ -  
 (٢٦) ديوان البوصيرى بتحقيق محمد سيد كيلانى ، ص ١٩٠ ، وألقصيدة البردة فيها ١٦٥ بيتاً . وعند  
 البعض فيها ٨٢ بيتاً  
 (٢٧) ايضاً ص ١٩٢ -  
 (٢٨) ايضاً ص ١٩٣ ، ١٩٣ -  
 (٢٩) ارمغان نعت مركز علوم اسلامية ٥ كارڈن كراچى ص ٣٤ -  
 (٣٠) ايضاً ص ٤٨ -  
 (٣١) ديوان البوصيرى ، ص ١٩٣ -  
 (٣٢) ايضاً  
 (٣٣) ايضاً ص ١٩٤ -  
 (٣٤) ارمغان نعت ، كراچى ، ص ٥٦ -  
 (٣٥) ديوان البوصيرى ص ١٩٦ -  
 (٣٦) ايضاً ص ٢٠٠ -  
 (٣٧) ايضاً ٢٨ مقدمة لمحمد سيد كيلانى - وقيل من قرأها الف مرة زاد الله فى ايام عمره وان يقرأها  
 اسير يطلق -  
 (٣٨) الشوقيات شعر لاحمد شوقى ، الهمزية النبوية ، وفى الباكستان توجد مطبوعة عليحدة  
 (٣٩) ايضاً الهمزية النبوية لاحمد شوقى -  
 (٤٠) ايضاً -  
 (٤١) ديوان البوصيرى الهمزية ، ص ٢ -  
 (٤٢) الشوقيات الهمزية النبوية -  
 (٤٣) ايضاً  
 (٤٤) ايضاً

